

من آداب الحاج تجنب الرفث والفسوق والجدال

فمن آداب الحاج: أن يجتنب الرفث والفسوق والجدال، سواء في إحرامه أو بعد تحلله؛ حيث إنه في مشاعر مفضلة. (الرفث) فسر بأنه من محظورات الإحرام ما يتعلق بالنساء: كالنظر إلى النساء مثلاً، أو تقبيل المرأة، أو لمس النساء بشهوة، أو ما أشبه ذلك. وكذلك الكلام المتعلق بالعورات؛ الكلام الذي يتعلق بالوطء وبمقدماته وبصفتة وما أشبه ذلك. الحاج يحفظ لسانه عن أن يخوض في مثل هذا الكلام؛ فإن ذلك مما ينقص عمله، مما ينقص حجه؛ حيث إنه مأمور بأن يتكلم بالخير. فإذا ما يتكلم بخير، وإما أن يسكت عن الشر. ذكروا عن شريح القاضي أنه كان إذا أحرم يكون كالحية الصماء لا يكلم من سأله إلا بخير، إذا جلس مع رفقتهم، أو سار معهم فلا يتكلم إلا بذكر الله، أو بالتلبية، أو بالتكبير، أو بالدعاء، أو بالقراءة أو بالتعليم أو بالنصيحة. فأما أن يخوض معهم في قيل وقال وما إلى ذلك؛ فإن الحاج ينزه نفسه عن مثل ذلك كله. كذلك أيضاً: الفسوق نهي الله تعالى عنه، ونهي عنه النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الذي ذكرنا: { من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه } . الفسوق: هو الذنوب والمعاصي، سواء المعاصي باللسان، أو المعاصي بالأذان، أو المعاصي بالأعين أو بالأيدي أو بالأرجل، أو بالمشاكل أو ما أشبه ذلك، فيتجنب الحاج الفسوق، فكل ذنب حرمه الله فإن فعله يعتبر من الفسوق؛ فالفسوق هو الذي يكثر من الذنوب، وقد يصل به الأمر إلى اقتراف السيئة الكبيرة والصغيرة. سمي الله تعالى التناثر بالألقاب فسوقاً، قال تعالى: { وَلَا تَتَّبِعُوا بِالْأَلْقَابِ يَسْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ } فمن الفسوق السخرية: أن يسخر بإخوانه وأن يستهزئ بهم، ومن الفسوق ذكر الألقاب السيئة، أن يعير إخوته مثلاً بأفعال أو بألقاب سيئة أو نحو ذلك، يعتبر هذا من الفسوق. وكذلك كل المخالفات تعتبر من الفسوق. الحاج يتجنب المعاصي صغيرها وكبيرها، فإذا نظر إلى عورة أو إلى امرأة بشهوة صرف بصره للأمر بذلك حتى لا يدخل في الفسوق، وإذا سمع أغنية أو لها لسد أذنيه، أو ابتعد عن أولئك الذين هذا فعلهم. كما ذكر أن ابن عمر سمع زمارة مع راع فسد أذنيه؛ حتى ابتعد عن ذلك. حتى لا يسمع صوت المزمارة؛ لأنها من الملهي ومن المحرمات. وكذلك إذا جلس في مجلس وصار أهله يتكلمون بالسوء ويغتابون وينمون ويسخرون، ويتكلمون بما لا طائل تجته، أو بما فيه مضرة فإنه ينصحهم ويحذرهم؛ فإذا لم يتقبلوا أو عجز عنهم فإنه يبتعد عنهم، قال الله تعالى: { وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ } الخوض في الآيات: هو الخوض بغير علم، والكلام بغير فائدة وما إلى ذلك، وهو من أسباب دخول النار. كما حكى الله تعالى عن أهل النار أنهم: { قَالُوا لِمَ تَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ تَكُ تُطْعَمِ الْمَسْكِينِ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ } فإذا رأى الإنسان هؤلاء الذين يخوضون فعلية أن يبتعد عنهم؛ حتى لا يشركهم في عملهم. كذلك أيضاً من آداب الحج: البعد عن الجدال الذي نهي الله تعالى عنه، قال تعالى: { وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ } الجدال: هو المخاصمة بغير حق، الخصومات والمنازعات، ورفع الأصوات في غير نصره الحق، لا شك أن هذا الجدال مما ينقص الحج، الإنسان إذا حج أخلص عمله لله تعالى، وصحح أقواله وأفعاله؛ وبذلك يكون حجه مبروراً. كذلك أيضاً من آداب الحج: الإكثار من الأعمال الصالحة في تلك المشاعر، فإذا كان محرماً فإنه يشتغل بالتلبية التي هي شعار الإحرام، يكثر منها ولا يغفل، يكثر من قول: لبيك اللهم لبيك، ولا يغفل عنها؛ حتى يكون ممن استجاب لله تعالى واستجاب للرسول إذا دعاه لما يحبه، قال تعالى: { اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ } .